## يجب تنفيذ خط الانفصال التام والحقيقي عن الفلسطينيين.. والسعودية وبعض الدول العربية ستمد يد العون للنظام الحماسي بدلا من الغرب

# على اسرائيل أن تقبل التعامل مع الجبهة الشرقية الجديدة المتمثلة بايران وسورية وحزب الله وحماس لان الجبهة التاريخية لم تعد موجودة

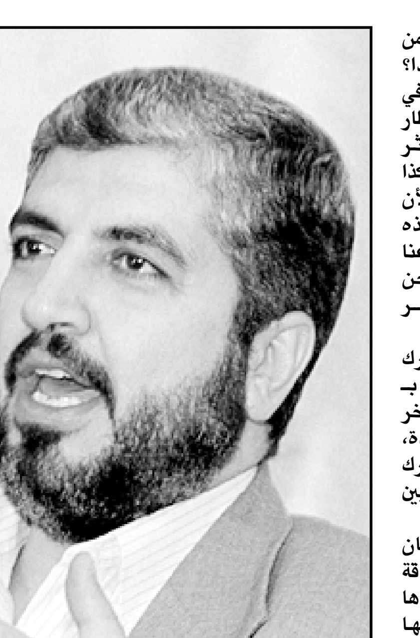
خالد مشعل

الشيخ حسن نصرالله

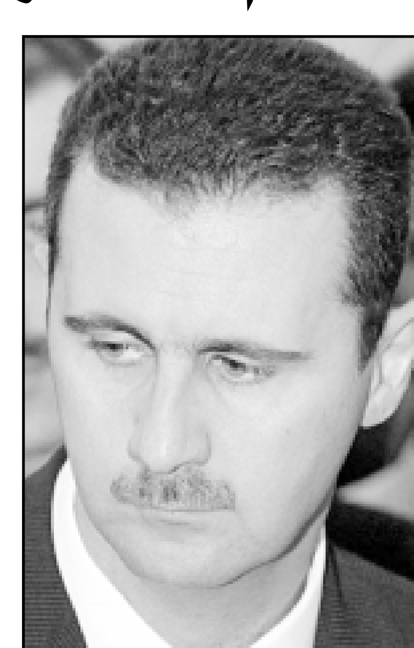
بشار الاسد

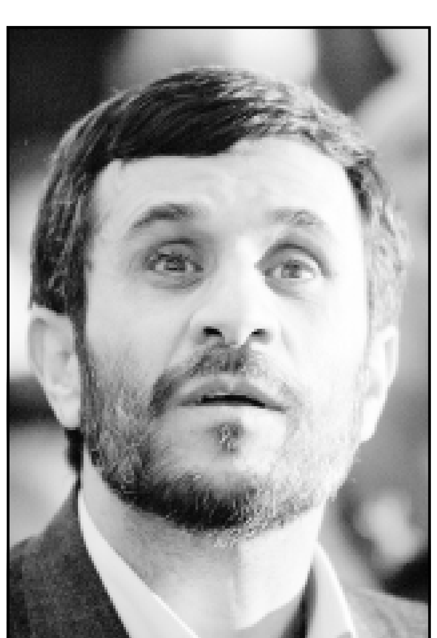
احمدي نجاد

■ بعد أيام قليلة من الفوز الكبير الذي أحرزته حركة حماس في الانتخابات التشريعية في السلطة الفلسطينية، خرج رئيس بلدية نابلس، عدلي يعيش، في جولة تفقدية في المدينة، وقد توقف وجماعته بالقرب من بناية فخمة كبيرة لا زالت في مراحل البناء تقع عند دوار الساعة في مركز المدينة، وهذا البناء هو ملك للبلدية، وسيصل ارتفاعه الى ثمانية طوابق، ومن المفروض أن يضم مكاتب وقاعات ومرافق تجارية، بالاضافة الى دار سينما، فقد سبق وأن خصصت له مساعدات مالية دولية لاقامته بمبلغ 25 مليون دولار، حيث ستكون بناية فخمة شاهقة على الطراز الحديث، وبحيث ستشغل دار السينما طابقين في هذه البناية.

يعيش، وهو رجل حماس، ورئيس بلدية نابلس منذ فوز الحركة في الانتخابات للمجالس البلدية والمحلية، ثار غضبا، «لن تكون هنا دار للسينما»، قال، وأصدر تعليماته بالغاء المشروع جملة وتفصيلا. «السينما هي الرمز الأكثر بروزا على التسلل والتسرب الغربي الينا، ولا يُعقل أن يأتي شبابنا الى بناية للبلدية ليشاهدوا أفلاما سينمائية».

وحتى الآن، فان هذا ما سيكون في نابلس، لن تكون هناك دار للسينما مع انها توجد أفلام، فنحن، وهم نقف عميقا في بؤرة الخوف التي أصبحت موجودة الآن.

«ايران، موجودة هنا»، هذا هو عنوان الفيلم وفقا لاحدى التوصيات التي طرحت هنا في اسرائيل مؤخرا والتي نوقشت في الاجهزة العسكرية الاسرائيلية. فالجبهة الشرقية التاريخية لم تعد هي الموجودة، اذا، اقبلوا بالجبهة الشرقية الجديدة ـ ايران ـ سورية ـ حزب الله وحماس. اربع أيد تخرج من جسم واحد، والتي تتلقى التعليمات والأوامر من رأس واحدة لتلك الأفعى الساكنة في طهران. والآن، فان وتدا غليظا قد ضرب في وسط الساحة الخلفية عندنا، وحركة حماس هي اصبع في اليد الايرانية التي أُرسلت من بعيد، لكنها وصلت الينا وبدأنا نحس بها.

في المشاورات التي تجري في الاوساط الأمنية الاسرائيلية منذ أن فازت حماس في الانتخابات (وبرئاسة رئيس هيئة الاركان الاسرائيلية) وفي وزارة الدفاع (برئاسة وزير الدفاع) فان صورة متكررة تبدو واضحة في هذه المشاورات. وكذلك الأمر بالنسبة للتوصيات التي تتمخض عن هذه المشاورات: «العمل على تنفيذ خط الانفصال التام» عن الفلسطينيين. انفصال شامل حقيقي وواضح عن الفلسطينيين. «اذا كان الشعب الفلسطيني قد اختار حماس، فهذا هو ما يستحقه»، هكذا يعلق أحد كبار المسؤولين في الاوساط العسكرية في اسرائيل. ويضيف «الآن، فليبحثوا عنا».

الجنرال حلوتس، رئيس هيئة الاركان، وخلال المشاورات الداخلية التي تجريها المؤسسة العسكرية هو كما يبدو الذي يقود هذا التيار لهذا الاتجاه. «يحظر علينا التململ، وكذلك اللعب». وهو في هذه الحالة يعرب عن رأيه تحت عنوان «يبدو لي»، فهذا عنوان سوف يوصلنا الى خط أحمر غير قابل لأكثر من تفسير واحد. فاذا قرنا مص الاصابع والتردد فان هذا سيكون سببا في إسقاط كل أركان السور الدولي.

التفاصيل والشرح: الناطقون، بمن فيهم رئيس هيئة الاركان، وبمن فيهم وزير الدفاع موفاز، كلهم يوصون بتوصية واحدة فقط: الانفصال التام عن الفلسطينيين وعدم الابقاء على علاقة من أي نوع معهم، بل انهم لا يريدون هذه العلاقة والاتصالات، حتى مع أبو مازن. ويريدون وقف كل أشكال المفاوضات معهم، وبصورة فورية. وقف المساعدات. واغلاق المعابر. لا نريد عمالا منهم. لا لإدخال السياح. لا شيء للفلسطينيين، نحن هنا، وهم هناك (فقط باستثناء هذه الاموال التي تم السماح بنقلها اليهم هذا الاسبوع).

في المشاورات الأمنية التي جرت قبل اسبوع، أوصى جميع قادة الاجهزة الأمنية (باستثناء قائد جهاز الاستخبارات العسكرية الجنرال عاموس يادلين) الذي فضل عدم الادلاء برأي خاص في هذا الشأن وآثر الصمت، والذي قال فيما بعد «إن حماس لم تشكل حكومتها حتى الآن، وبالتالي فانها لن تستفيد من هذه الاموال التي تريد الحكومة دفعها للسلطة الفلسطينية عن فترة سابقة لما نحن عليه الآن. وفي اللحظة التي ستقوم فيها حكومة تابعة لحماس في المناطق، ولا يعنينا اذا ما كانت حكومة حمساوية مئة في المئة أم حمساوية بنسبة معينة فقط، ولا يعنينا اذا تقرر أن تتحول صلاحيات معينة حساسة لأيدي أبو مازن أم لا، فمنذ اللحظة التي تتشكل فيها حكومة جديدة، فان على اسرائيل ان ترزم متاعها وتسحب أيديها وتغادر».

لا أحد يخرج ولا أحد يدخل، لا من يتحدث ولا من يسمع، والمعابر مغلقة، فقط تستمر اسرائيل بتزويدهم بالكهرباء (مقابل دفع المستحقات كاملة)، وكذلك تزويدهم بالمياه، واذا كانت هناك ضرورة فان اسرائيل ستزودهم بحليب الاطفال ايضا. وهذا هو الأمر. فليتدبروا بأنفسهم، ولينضجوا بعصارة حماس. فاسرائيل لا بد لها من الاصرار والعناد على سياسة واضحة ـ هكذا قال رئيس هيئة الاركان في هذه المشاورات دون أي خلل وبلا أي تنازل.

وحسب اقواله ووصفه، فان هذا الجدار الصلب من المواقف لا زال صامدا ومستقرا. ولكن، ماذا سيحدث غدا؟ لا أحد يعرف ذلك. فالامريكيون لا زالوا يتلعثمون في صياغة موقفهم، هل يُجرون اتصالات أم لا في اطار المساعي السياسية. والاوروبيون سوف يكونون أكثر تلعثما. ونحن يجب أن لا نقع في مثل هذا الشرك ـ هكذا يقول حلوتس ـ أي عدم الوقوع في «شرك من العسل» لأن حركة حماس تسلك طريق «الأحاديث المعسولة» في هذه الايام، وتحاول تحذيرنا بطريقة تسهيل ابتلاعنا للحبوب المخدرة وتتظاهر باللطف والود. فماذا قلنا نحن حتى الآن؟ ـ هكذا يتظاهرون في أقوالهم: قلنا سندمر اسرائيل، حسنا، لقد قلنا ذلك.

لكن دان حلوتس يؤكد إن على اسرائيل أن لا تشترك في هذه الألاعيب المزدوجة. فلن يكون هنا ما يُعرف بـ «رجل جيد وآخر سيء» على نحو أبو مازن الجيد وآخر سيء مثل أبو طير أو هنية أو مشعل. فهذه معركة واحدة، وجهاز سلطة واحد وممنوع أن نقع في مثل هذا الشرك الذي يحاول البعض في العالم أن يفعل أو يفرق بين عناصره ومركباته.

فاذا ما حاولنا القفز في المواقف هنا وهناك، فان حماس ستستولي على كل شيء، وسوف تكون العلاقة الاسرائيلية ـ الدولية في هذه المعركة تتشكل كما تريدها حماس والتي ستعمل على شفط كل شيء لصالحها وتوصلها شيئا فشيئا الى بلورة وتشكيل واقامة دولة ـ هنا بالقرب من كفار سابا، ستقيم دولة ايرانية اسلامية خلال عشر سنين فقط.

ونحن سندفع لهم نحو 300 مليون شاقل شهريا، وهم سيشيدون بها مدارس التوجيه العقائدي المتطرفة. هذا لن يكون ولن نساعد عليه. هكذا يقول حلوتس، لأن هذا سيكون محورا واصلا بين طهران، دمشق، بيروت، غزة، وعليه، فلا بد من تحطيمه هنا والآن.

يقول المحيطون بحلوتس، أن كل تسوية وكل جهد للوساطة في هذه الظروف سوف تكلفنا كثيرا فيما بعد. فالجنرال حلوتس يرى في حماس النموذج الايراني بوضوح. فهذه نفس الطريقة في الاستيلاء. في البداية يكون ذلك بهدوء وباسلوب ناعم لا يستفز، وبعد ذلك يكون بالقوة والارهاب، وواضح جدا فيما لو كان ايرانيون معنيين بالدخول الى هنا والعمل في اسرائيل فاننا لم نكن لنسمح لهم بذلك، وهكذا يجب أن ننظر الى حماس ونتعامل معها كما لو أننا نتعامل مع ايران، فباستثناء الحديث باللغة الفارسية، فان كل شيء آخر سيكون شبيها له ـ هكذا يُجمل حلوتس رأيه في هذه المداولات الأمنية الداخلية.

وفقا لأحد السيناريوهات القليلة فان أبو مازن يستطيع الغاء نتائج هذه الانتخابات والاعلان عن اجراء انتخابات جديدة خلال نصف عام، وأن اتصالات سرية في هذا الخصوص تجري حاليا، وأن سيناريو كهذا يتداولونه الآن في اسرائيل ايضا. وفي قيادة الجيش الاسرائيلي فانهم يقولون بأن «مجرد الاعلان عن تشكيل حكومة حماس فانه يتوجب على اسرائيل أن تعمل بكل ما لديها من طاقة وقوة لالغاء نتائج هذه الانتخابات»، لكن فرصة نجاح مثل هذا التفكير ضئيلة للغاية.

### خطر حقيقي على وجود اسرائيل

التوجه العسكري الاسرائيلي في هذا الشأن متشدد وهجومي للغاية، وهو ازداد صلابة هذا الاسبوع، ويمكننا منذ الآن استشعار كيفية المواجهة القريبة التي ستحدث بينهم (المستوى الأمني) مع الحكومة الاسرائيلية بعد قليل. فهم في الاجهزة الأمنية يعلقون كثيرا من الآمال على اهود اولمرت، وهم على اطلاع تام على «الضرورات الانتخابية»، لذلك فانهم يحاولون بكل جهدهم إسقاطه في شباك مواقفهم، والآمال منوطة بأن لا يتململ أو يتراخى اولمرت في هذا الشأن. وأنه لن يسرع في الوقوع في أي من النماذج التي تنتجها مدرسة دوف فايسغلاس، لانهم يقولون الآن «إن مثل هذه النماذج لن تمر»، ولن نسمح لها بالمرور. ويؤكدون بقولهم «اذا أردنا الغش، فاننا لن نغش إلا انفسنا في هذه المرة».

هناك قادة في الجيش الاسرائيلي ممن يعتبرون أن الخطر الحالي يعتبر خطرا حقيقيا على اسرائيل (وهؤلاء ليسوا الجنرال حلوتس)، ويقولون بأن اسرائيل ستجد نفسها بعد 10 ـ 15 سنة معرضة لخطر وجودي محتمل سيقف لها على بوابة ساحتها الخلفية، وهناك سيكون الوقت متأخرا جدا. وخصوصا اذا كانت حماس ستسلك طريقا حكيما غير متهور ومبرمجاً كالذي نعتقده. فاذا اقترحت حركة حماس اعلان هدنة طويلة المدى، على سبيل المثال، فانها ستفرضها بقوة، وستعمل على لجم حركة الجهاد الاسلامي، وبذلك ترتفع أسعار البورصة في تل ابيب الى مستويات عالية جديدة. لذلك، تُمنع اسرائيل منعا باتا من السقوط في مثل هذه الحبائل، وأن لا تُعرض أمن وحياة اسرائيل لخطر حقيقي على وجودها، أي مقابل ازدهار مؤقت في الحاضر القريب تُعرض أمن ووجود الدولة في المستقبل للخطر.

هذه المصادر (ولا نتحدث هنا عن رئيس هيئة الاركان)، تنادي بعملية انفصال حادة عن الفلسطينيين، انفصالا نهائيا. بل إن البعض يطلب ايضا قطع الكهرباء وقطع المياه، ولندع ايران تزودهم بكل شيء. وهكذا، حسب اعتقادهم، فان الشعب الفلسطيني سيفهم بسرعة أن انتخابه لهم كان غلطة كبيرة، وسيفهم بأنه صوت لصالح تنظيمات متطرفة سوف تهدم الآمال باقامة مجتمع جيد وحياة ممتازة لكلا الشعبين، ولكن من الممكن رسم صورة للفلسطينيين عن نتائج مثل هذه الانتخابات الآن. وفي داخل حماس، فان حالة من التوتر الداخلي الكبير تتفاعل هناك، ولا زالت داخلية لم تتسرب الى الخارج. فحماس تعتبر منظمة اصولية منظمة وملتزمة، منظمة جيدا ومطيعة لقيادتها، وأن كل الغسيل القذر يتم غسله داخل البيت فقط، وأن أحد النقاشات الحادة الدائرة الآن في اوساطها هو حول ضرورة حلف القسم أمام رئاسة السلطة في اليوم الذي ستتشكل فيه حكومة حماس، فعناصر الجناح المعتدل يوافقون على ذلك، ولكن الجناح المتطرف يرفض ذلك. «هل نُقسم على طاعة قوانين السلطة الفلسطينية؟». «لماذا نفعل ذلك؟»، «فقط هي قوانين الاسلام التي نُقسم بالحفاظ عليها، فلا نُقسم إلا على القرآن وأنظمته، واذا أقسمنا لقوانين علمانية وضعية فاننا نكون قد خُنا وخدعنا ناخبينا».

توجد في حماس حاليا ثلاثة اتجاهات مركزية: قيادة حماس الخارج (خالد مشعل)، والتي تتخذ من دمشق مقرا لها، وقيادة حماس الداخل (اسماعيل هنية ومحمود الزهار وأبو طير)، وقيادة حماس في السجون. ولكل واحد من هذه التيارات معتقداته ووجهات نظره الخاصة به. ولا يوجد تداخل بين المعتدلين والمتطرفين في جميع هذه التيارات.

نحن نسمع خالد مشعل هذه الايام يتحدث بلسان حلو وكلام هادىء (سوف نعترف بجميع الاتفاقات المعقودة بين السلطة واسرائيل)، بينما محمود الزهار هو الذي يُظهر التطرف. فالتيار الأكثر تطرفا وأكثر اصولية هو التيار السائد في المنطقة، أي التيار المسؤول عن «كتائب عز الدين القسام»، حيث لا يزال محمد ضيف الجريح مسؤولا عنه.

لقد حققت حماس في الايام القليلة الماضية انجازا جيدا بالنسبة لها، حيث تمكنت من الحصول على تعهدات من بعض الدول العربية لدعمها بالمال اللازم. هكذا حصلت على تعهد من السعودية، على سبيل المثال، فاذا لم تصل الاموال من اسرائيل ولا من المجتمع الدولي، فهناك من تبرع بمد يد العون، ودفع الاموال اللازمة في دول الخليج. السعودية وبعض الدول العربية ستمد يد العون للنظام الحماسي بدلا من الدول الغربية، وفي المشاورات التي تجريها الحركة مع أبو مازن، فان آراء ووجهات نظر كثيرة تبودلت بين الطرفين وبحثت خيارات عديدة، وفي أعقاب كل جولة مشاورات يعود قادة حماس الى خلاياهم، ويناقشون تلك الاقتراحات، وذلك بهدف الجسر بين هذه الاقتراحات والآراء. ففي الاوساط المقربة من أبو مازن يُرحبون بفكرة اعطاء فرصة لحماس لتشكيل حكومة، ومن ثم إفشالها، وبذلك يكون من الممكن الدعوة الى اجراء انتخابات جديدة للخروج من المأزق، وذلك كحل أفضل من ذلك الذي أشرنا اليه في البداية والذي يفكر به البعض، أي إلغاء نتائج الانتخابات الأخيرة.

الاوضاع الحالية غير مشجعة في المنطقة. فالسياحة الى المناطق في حالة تراجع مستمر، وعلى وجه الخصوص السياح المسيحيين الى منطقة بيت لحم، ولذلك فان المسيحيين يشعرون بمخاوف كبيرة. وكذلك يتخوفون من قرارات ومواقف صعبة تجاههم من السلطة، وتقييدات على الملابس والزي وعلى المشروبات الروحية، والجميع ينتظر ما سيحدث.

الاردن يعيش حالة من الذهول. الملك عبد الله كان قد تحدث في أحد الاجتماعات المغلقة في واشنطن قبل ايام، عن الأخطار الكبيرة المنتظرة في المنطقة بعد أن وصلت احدى القوى الاسلامية المتطرفة الى السلطة، وقال بعبارة محددة «إن الاسلام المتطرف يشكل خطرا حقيقيا على الشرق الاوسط وعلى الاردن بالتحديد»، وأن «سلطة اسلامية متطرفة يمكن أن تؤدي الى إسقاط أنظمة قائمة ومستقرة في الشرق الاوسط فيما بعد». وقد قال لعدد من الذين رافقوه في جولة في الفنادق التي شهدت انفجارات عنيفة قبل شهرين في عمان والتي تبنتها قوى اسلامية متطرفة، فقد قال: «هؤلاء الاشخاص ..الارهابيون.. يشوهون الايمان والدين ويربطون الدين بالاعمال الارهابية البشعة».

وزير الدفاع الاسرائيلي شاؤول موفاز غادر اسرائيل للاشتراك في اجتماع لوزراء دفاع حلف الناتو، وسوف يلقي خطابا أمام الوزراء هناك بعد ظهر اليوم ـ الجمعة ـ وسوف يجري خلال اليومين اللذين سيقضيهما اجتماعات منفردة مع كل واحد من وزراء دفاع هذه الدول، حيث سيعرض امام «مواد حماسية» ونشرات خاصة في محاولة منه لتقوية وتحصين جدار الرفض العالمي لحماس ولكي يظهر لهم ـ عمليا ـ عوامل وعناصر الربط بين حماس وايران وما يعنيه ذلك من خطر على اسرائيل والعالم، بل انه سيوقفهم على «خطر عودة قيام الجبهة الشرقية» الجديدة في المنطقة، وهذا سيكون خطرا على الشرق الاوسط كله، وعلى اوروبا والعالم.

وفي الاسبوع المقبل سيزور موفاز القاهرة حيث ينتظره هناك صديق حقيقي (مبارك) حيث اصبحت العلاقة بين الرجلين (ومنذ وقت طويل) علاقة استراتيجية. والان، فانهما يواجهان خطرا استراتيجيا مشتركا لا بد من مواجهته معا.

### محطة تلفزيون الاقصى

حركة حماس تسعى حاليا وتعمل على «معركة الرأي العام» التي تضع خطا واضحا تحتها، أو بكلمات اخرى، «معركة وسائل الاعلام». فحركة حماس توظف في هذه الايام مبالغ مالية ضخمة لانشاء شبكة اعلامية محلية، وبعد ذلك ستكون شبكة على مستوى المنطقة وبعد ذلك ستكون عالمية، أي عمل شيء شبيه بـ«محطة قناة المنار» الخاصة بحزب الله في لبنان والمرتبطة بايران وأن هذه العملية يجري توجيهها من قيادة حماس في دمشق وان «خالد مشعل» يفهم جيدا بان محطات تلفزة واذاعة حمساوية ستكون مرحلة اضافية ومتقدمة في الطريق نحو الاستيلاء والسيطرة على المنطقة.

فـ «القمر الصناعي الحمساوي» في الطريق، حيث بدأت اعمال البث التجريبي لتلفزيون حماس في غزة هذا الاسبوع، حيث بدأت محطة التلفزة الجديدة التي عرفت باسم «تلفزيون الاقصى» ببثها التجريبي من داخل احد المساجد في وسط غزة، وعلى ما يبدو في جباليا. فقد بدأ هذا البث في الاول من شهر كانون الثاني الماضي، والحديث يدور عن عملية بث تجريبية (على موجة قصيرة يو.اتش.اف 62)، وفي حركة حماس يخفون مكان هذه المحطة ويعملون بسرعة لانجاز العمل فيها، وانه حسب المخطط، فانهم سيعملون بعد ذلك على انشاء محطة مماثلة في الضفة الغربية، وبعد ذلك يقومون بشراء قمر بث خاص ليعمل على بث برامجهم في المنطقة كلها ويوصلها الى العالم بأسره، ولا سيما لجمهور المسلمين في كل مكان ـ كما يفكرون».

فقد شكلت حركة حماس طاقما مهنيا: فنيين، مهندسين، مقدمي برامج، مخرجين ومذيعي نشرات اخبارية حيث تم تأهيلهم خارج المناطق، في مصر وفي شبكة الجزيرة، وكذلك فقد تم دمج العنصر النسائي في هذا الطاقم وذلك بهدف اقامة قسم خاص للبث الاذاعي والتلفزيوني النسائي في المستقبل.

ومن الواضح بان عمليات البث التجريبية ستستمر ثلاثة اشهر وبعد ذلك سيتم الاعلان عن جدول برامج متواصل، وانهم حاليا يحافظون على بث برامج دينية بطابعها الاغلب الى جانب بعض البرامج الصحية والمجتمعية وبعض الفقرات الاخبارية، أما المحطة الكبيرة التي يعتزمون اقامتها فان حماس تدرس امكانية اقامتها بالقرب من المجمع الاعلامي الكبير في دبي حيث توجد شركات صيانة فنية كبيرة في المنطقة حيث يوجد شخص معروف كشخصية حمساوية باسم «احمد محمد فتحي حامد» يعمل مديرا لشركة صيانة فنية معروفة باسم «شركة الرباط للاتصالات والانتاج الفني» وهذا الشخص معروفاً كشخصية متطرفة في حماس وكان معتقلا في اسرائيل في سنوات التسعينيات، وهو فلسطيني من بيت لاهيا في قطاع غزة، وخلال فترة بسيطة فان الحركة ستقوم باصدار صحيفة يومية، وبعد ذلك نشرة اخبارية باللغة الانكليزية حيث ستذاع من راديو الاقصى المعروفة بانها محطة حمساوية.

فالسيد حامد ـ الذي قد يكون وزيرا للدعاية لحماس كان فيما مضى من النشيطين في العمليات المسلحة ومعروف كمتطرف، وسبق له أن ألقى خطابا في اعقاب الانسحاب الاسرائيلي من غزة والذي اعتبر نصرا لحماس، حيث قال «نحن في حماس، نؤكد من خلال كتائب عز الدين القسام أننا سنواصل الجهاد والمقاومة حتى تحرير كامل فلسطين من النهر الى البحر وان لا شيء سيوقفنا، فبفضل القسام حررنا غزة والتي كانت تحطم الوجود الصهيوني ولا احد يستطيع الوقوف في وجهنا».

من الجدير بالذكر أن موضوع حماس يحظى باتفاق عام بين الاوساط والمراتب العسكرية في اسرائيل، وهكذا فان شخصيات عسكرية كثيرة تؤيد هذا الاتجاه، وكذلك كان موقف المقدم احتياط ـ مايك هيرتسوغ ـ الذي نشر مقالا في صحيفة «فورين أفيرس» تحت عنوان «هل يمكن لجم حركة حماس؟» وكان جوابه على هذا السؤال «انه لا أحد يمكنه ذلك، ولا حتى بعض القوى المعتدلة نسبيا والتي شاركت في الانتخابات تحت اسم الحركة يمكنها وقف هذا التطرف الكامن في اطر الحركة وقواها الايديولوجية، وان هذا لن يحدث الا اذا تجمعت بعض الظروف والشروط التي انعدمت في المدة التي كانت فيها السلطة الفلسطينية موجودة قبل الانتخابات».

والان، فهناك بعض الاراء المغايرة الاخرى، في الاكاديمية العسكرية، وكذلك بين الاوساط القيادية الوسطى في الجيش وبين فئات الضباط برتب عقداء ومقدم من العاملين في الميدان، وكذلك في اوساط معينة في الرأي العام العالمي. أحد أصحاب وجهة النظر هذه هو «اليستر كوك» رجل الاستخبارات البريطانية الشهير والذي عمل لسنوات عديدة مستشارا عسكريا خاصا للاتحاد الاوروبي وتخصص في العلاقات مع الفلسطينيين حتى أصبح مع الايام وكأنه من اهل البيت الفلسطيني والحمساوي الى أن تم ابعاده عن عمله بسبب برودة تحليلاته وعدم توافقها مع ما كان يعتقده الاوروبيون.

فحسب هذه التحليلات فان حماس «قابلة للتساهل» وان اشتراكها في السلطة سوف يدفعها للاعتدال وان (الاشتراك في السلطة) سيعلمها امتصاص تطرفها لان «ما تراه من هنا لا تراه من هناك». وعليه، يجب ان لا تُقاطع حماس على خلفية كهذه، بل ربما كان من الاجدر أن ترى في هذه العملية فرصة جيدة للدفع باتجاه الاعتدال والابتعاد عن التطرف.

### الاستعداد لتغيير الأسطوانة

الكرة موجودة الان في ملعب ايهود اولمرت، أما حلقة الليكود التي تحيط بنتنياهو والتي تؤكد أنه هو «الاكثر صرامة ضد حماس» ينافس كديما ويدفع به لمزيد من التصلب. فالليكود يؤكد أن رأيه في هذا الموضوع صحيح، وأن نتنياهو صاحب تجربة في هذا المضمار وان سبق له وان «حذر اسرائيل من احتمال استيلاء حماس على السلطة». ولكن من الناحية الثانية يمكن القول كذلك إن «آفي ديختر» والذي هو احد الكبار في كديما كان قد حذر هو الاخر من حدوث أمر كهذا، لان فوز حماس ووصولها الى السلطة هناك قضت تماما على كل السيناريوهات والاحتمالات التي درست والتي كانت تضع حلولا لكل التوقعات، حتى عمير بيرتس شعر بانه ملزم باتخاذ مواقف متشددة في هذا السياق حيث قال «لا يوجد ما نتحدث به معهم».

نتنياهو يعرض اسطوانة ليست سيئة خاصة بالتعامل مع حماس، وهو بذلك يجعل هذا الامر يشكل برنامجا انتخابيا لحزب الليكود، وانه لولا هذا العرض الذي يقدمه لوجد اختلافا في نتائج الاستطلاعات التي تجري ونقرأ نتائجها.

واولمرت التي ننظر اليه الان على أنه رئيس للوزراء القادم، فانه ـ على ما يبدو ـ يستعد لتغيير الاسطوانة، مع أن سلوكه لا يؤكد مثل هذا التغيير، وخصوصا بعد أن شعر فعليا بان ما حدث في عمونا قد آذاه كثيرا واوقع اضرارا بالغة في حملته الانتخابية، وان هذه العملية أضرت بشخصيته التي كان سيظهر فيها على أنه البديل الطبيعي في السلطة للحكومة القادمة. وبعد الانتخابات، واذا ما فاز فيها، فان اولمرت سيسير في طريق جديدة، وأنه سيبلور موقفا جديا بعد هذه الانتخابات، لان عناصر اللعبة تغيرت وان المحيط (باسرائيل) بات اكثر عدائية وان الشريك (المفاوض الفلسطيني) اطال لحيته ولبس الثوب الاخضر.

هناك من يعتقد ان اولمرت قد يقوم على خطوة يغير فيها جميع الذين يعملون من حوله بمن في ذلك الموجودون في مجلس الامن القومي وكذلك في واشنطن، وكذلك المستشارون السياسيون والعسكريون، أنه يعتزم الانعتاق من كل خيوط الماضي ومن كل «نظريات الانفصال» المختلفة، وأن يأخذ (يعين) مندوبا جديدا لاسرائيل في واشنطن (يدور الحديث عن تعيين المحامي ايلي زوهر) والتقرب اكثر من المؤسسة العسكرية وبالتحديد لرئيس الاركان الذي يحظى حاليا باجماع على كل الاجراءات والتي ينفذها وان يتحلى بالصبر والمسؤولية.. وان يدعو الله القدير.

بن كسبيت
المراسل السياسي للصحيفة
(معاريف) 2006/2/10

## يفسر ضبط حماس لنفسها بالمعضلة.. والاستراتيجية الاسرائيلية تقلق الاردن ومصر

# جهاز الدفاع الاسرائيلي يتبنى سياسة الجدار الحديدي لعزل حكومة حماس من اجل القضاء عليها بسرعة

■ عندما ستتشكل حكومة حماس ستجد اسرائيل نفسها ـ على الأقل على المستوى النظري ـ في حالة حرب. لن يكون هناك استدعاء للاحتياط ولن تندلع النيران. ولكن حكم العامل الفلسطيني الذي سيحاول الدخول الى اسرائيل سيكون مماثلا لحكم العامل الايراني. أي أنه سيعتبر مواطنا في دولة معادية ولن يعود أمامه ما يبحث عنه هنا.

عندما يستلم أتباع حماس ـ مباشرة أو غير مباشرة ـ المسؤولية عن جهاز الأمن الفلسطيني سيتحول كل عناصر الشرطة الفلسطينية الموزعون اليوم على 150 موقعا قرب الحدود مع اسرائيل في شمالي الضفة ـ أتباعا لمنظمة ارهابية. اليوم يجري ضباط الجيش الاسرائيلي الاتصالات معهم، ينسقون ويتحادثون فيما بينهم، وهناك تعاون حقيقي. أما في الفترة القادمة فسيتحولون الى أتباع لمنظمة ارهابية وسينتهي كل هذا الذي نراه الآن. هذا لا يعني أن اسرائيل ستبدأ باطلاق النار عليهم منذ صبيحة الغد، إلا أنهم سيعتبرون من الآن فصاعدا طرفا معاديا.

على سبيل المثال توجد لقادة الألوية في الضفة علاقات عمل جيدة نسبيا مع نظرائهم الفلسطينيين في المدن. المقصود هنا علاقات عمل في اطار القضايا الأمنية، وفي بعض الحالات يجري تبادل المعلومات الأمنية الحساسة احيانا وايصال الاشعارات بحدوث عمليات وما الى ذلك. عندما ستسيطر حكومة حماس على مقاليد الأمور ستقطع اسرائيل كل اتصالاتها مع السلطة وممثليها كائنا من كانوا. ذلك لأن كل حوار مع ضباط تقودهم حكومة تسير وفق الايديولوجية الحماسية سيكون حوارا مع حكومة تعلن الحرب على اسرائيل.

هذه هي الرؤية الآخذة في التبلور في جهاز الدفاع والجيش في ظل انتصار حماس الجارف في الانتخابات وعشية اقامة حكومة فلسطينية. المسألة هنا تدور حول رؤية متشائمة لا تترك مكانا للتأويلات: صعود حماس خطير لدولة اسرائيل وعليها أن تبذل كل ما في وسعها لمنع تشكيل هذه الحكومة بما في ذلك حكومة وحدة مُقنّعة أو حكومة يقف في مقدمتها ممثلون «معتدلون»، «علمانيون» أو «تكنوقراطيون». بالنسبة لجهاز الدفاع، حماس هي جزء لا يتجزأ من «محور الشر». اذا كان هذا المحور يقف عند حزب الله في جنوب لبنان قبل عدة اسابيع فقد أصبح ممتدا اليوم الى قطاع غزة ومحوره هو: طهران ـ دمشق ـ حزب الله ـ حماس. هذا طالما لم تلغِ حماس ميثاقها ولا تعترف بدولة اسرائيل ولا تتخلى عن سلاحها وتعترف بالاتفاقات الموقعة بين اسرائيل والسلطة. هذه هي التوصيات التي سيقدمها جهاز الدفاع للمستوى السياسي.

في هذه الاثناء تعرف أطراف أمنية عليا كيف تشير الى عدة مصائد وضعتها حماس في وجه الامريكيين والاوروبيين ومصر ودولة اسرائيل. كل واحد من هذه الأطراف هو جزء من سور تم تشييده في وجه حماس في محاولة لاجبارها على التغير الايديولوجي. حماس ستحاول فتح ثغرة في هذا السور حتى تتمكن من الخلاص من هذا الضغط. احدى الطرق هي تشكيل سلطة فلسطينية ثنائية الرأس، أي رئيس ـ أبو مازن ـ الذي ستتواصل الاتصالات معه والى جانبه حكومة حماسية تخضع للمقاطعة. من المحظور على اسرائيل أن تتلعثم وأن تقبل مثل هذا الوضع كما تقول الجهات الأمنية، لأن هذه وصفة مؤكدة لاخراج حماس من عزلتها مع بداية ظهور الشرخ الاول في السور الذي ستنفذ من خلاله أطراف اوروبية وغيرها من الباحثين عن طريقة للتحدث مع السلطة حتى وإن كانت حماسية. الجهات الأمنية تقول إنه من المحظور على اسرائيل أن توافق على وجود سلطة حماسية، وكيف يفترض أن يشكل الفلسطينيون سلطة غير حماسية؟ الجهات الأمنية الاسرائيلية لا تملك جوابا على ذلك. من وجهة نظرهم – فليذهب الفلسطينيون لانتخابات جديدة، لأن اسرائيل لن تقبل بحماس في صورتها الحالية. الفخ الثاني الذي يشيرون اليه في جهاز الدفاع هو ما يسمى «الخطاب المتكتك» الذي يستخدمه قادة حماس ويُلقون به في وسائل الاعلام العربية والدولية. هذا الخطاب، كما يقولون عندنا، هو نوع من المخدر الذي يقوم قادة حماس بحقنه في المنظومة الدولية واسرائيل. هناك فجوة واسعة بين ما يقوله قادة حماس في وسائل الاعلام الدولية علانية وبين ما يتردد عندهم في الغرف المغلقة.

يتبين أنهم يتحدثون على المستوى الداخلي عن استنساخ النموذج الايراني، أي السير مرحلة تلو اخرى وتعويد العالم واسرائيل على فكرة أن الجنّي ليس فظيعا الى الحد الذي يعتقدونه، تماما مثلما حدث بعد صعود الخميني للحكم. في تلك الآونة كما نذكر، تم تشكيل الحكم الايراني من شخصيات معتدلة وبراغماتية وعلمانية. وفي المرحلة الثانية بعد أن ابتلع العالم فكرة الثورة الاسلامية تمت إزاحة هؤلاء الاشخاص وحل رجال الدين مكانهم. مرت عدة سنوات، وعندما أفاق الجميع كان الجنّي الاصولي قد خرج من القمقم. في اسرائيل يعتقدون أن نفس الحكاية تنضج هنا. حتى الأطراف الأكثر تشاؤما في القيادة الأمنية توافق على أن حماس لن تنوي الانجرار الى الارهاب غدا. بل على العكس. اغلبية التقديرات تتحدث عن هدنة طويلة، هذه الموافقة من قبل حماس للتحدث حول التهدئة ستُقابل في اوساط الجمهور الاسرائيلي بصورة حماسية بالضرورة. والعالم ايضا سيصفق لذلك. ولكن هذه النظرية التي تعتقد أن اللحظة المواتية للهدوء ستحدث انعطافة في نهاية المطاف ـ تبدو خطيرة جدا في نظر الأطراف الأمنية في اسرائيل. هذا بالنسبة اليهم نوع من المخدر. وخطوة تكتيكية محدودة اخرى من اجل تشويش الصورة علينا.

وبالمناسبة، لا تشارك حماس في محاولات الجهاد الاسلامي لشن العمليات في قطاع غزة، ولا تشارك في اطلاق صواريخ القسام، ولا في انشاء البنية التحتية للجهاد في سيناء حيث يجري التخطيط لشن عمليات داخل اسرائيل عبر الحدود المصرية. حماس في غزة تنظر الى ما يحدث ـ ولا تتدخل. اسرائيل توجه ضرباتها للفلسطينيين في القطاع وتقوم بعمليات اغتيال انتقائية ممركزة فيما تلتزم حماس الصمت. حماس تبنت استراتيجية حزب الله فور فك الارتباط. أي: ان كل ضربة توجهها اسرائيل لسكان القطاع تستوجب ردا من حماس. ولكنهم يقومون الآن بوضع هذه الاستراتيجية جانبا. في هذا الاسبوع قامت اسرائيل خلال اربعة ايام بتصفية 11 ناشطا ارهابيا في القطاع ولم تحرك حماس ساكنا. أتباعها يُعتقلون في الضفة من دون أن يرمش لها جفن. طائرات سلاح الجو تقصف والمدفعية تطلق حممها وحماس لا تتدخل. كل خطوة تُحسب عندهم بدقة. وكل ما قد يُفسد عليهم تشكيل الحكومة – يُجمد في الوقت الراهن. هناك دليل واحد حتى من الشارع على محاولة حماس لاقناع أتباع الجهاد الاسلامي بايقاف اطلاق صواريخ القسام. هذه المحاولة كانت لمرة واحدة لم تتكرر ولم تُحدث تأثيرا يُذكر.

في اسرائيل يفسرون ضبط حماس لنفسها بالمعضلة التي تواجهها اليوم. في اسرائيل يعرفون أن حماس ستضطر للتنازل عن الارهاب، على الأقل في المرحلة الاولى، اذا أرادت البقاء في الحكم. ذلك لأنه لا يمكن ـ كما تقول أطراف أمنية ـ الاحتفاظ بالحكم والقيام بأنشطة ارهابية في المقابل. وعليه، ستفضل حماس الحفاظ على الهدوء في الفترة القريبة.

بعد سقوط صاروخ القسام الذي أصاب عائلة واحدة في كرميا، اعتبرت اسرائيل أن لديها شرعية دولية لاستخدام قوتها ضد القطاع. الخطوات القتالية المضادة للارهاب في الضفة الغربية تتواصل كالمعتاد منذ انتخابات السلطة. أما في غزة فقد أوقفت فيها هذه العمليات منذ الانتخابات بما في ذلك القصف المدفعي. ولكن بعد حادثة كرميا عادت الكرة. سياسة استخدام القوة التي تحددت للجيش تقول: العمليات تتواصل كالمعتاد الى أن تتشكل الحكومة الفلسطينية الجديدة، أي أن القوة ستُستخدم بصورة موضوعية. لا يوجد كبح على خلفية نتائج الانتخابات. ومنذ اللحظة التي ستقوم فيها الحكومة سيكون استخدام القوة متناسبا مع سياسة تلك الحكومة. أي أن الحرب ضد الارهاب ستتواصل بكل الوسائل وفي كل الاحوال.

حسب تقدير أطراف بارزة في جهاز الدفاع تعني اقامة حكومة حماس: الجمود. لا ممر بين الضفة وغزة. خطة مرور 250 مسافرا في اليوم على متن الحافلات أُلغيت. التسهيلات في حركة اعضاء البرلمان الفلسطيني لن تُمنح لاعضاء حماس. خطط تسليم مدن اخرى للفلسطينيين مُجمدة. الغلاف الجمركي الذي تتمتع به السلطة اليوم سيُلغى. معنى ذلك أن العلاقات التجارية بين غزة والضفة ستكون أكثر تعقيدا لدرجة القطيعة التامة. في المراحل الاولى ستواصل اسرائيل نقل البضائع للقطاع والأنشطة الانسانية ستستمر. في السابق كان شارون يتصور أن غزة ستقطع صلاتها باسرائيل في عام 2008، أما حسب الوضع الآن فان الافتراق سيحدث قبل هذا التاريخ.

### إخراج الناس الى الشوارع

سلم التهديدات مختلف في الوقت الحالي، بالنسبة لقيادة المنطقة الوسطى. حتى الانتخابات كان الاستعداد للعمليات الموجهة ضد العمق الاسرائيلي على رأس الأولويات، ومن ثم الاستعداد للعمليات على محاور الطرق، وأخيرا العمليات ضد المستوطنات اليهودية في الضفة. أما الآن فقد صعدت المستوطنات الى المرتبة الثانية. التقديرات تفيد بأنه اذا نجحت حماس في الوصول الى صيغة الهدنة التي تتطلع اليها، فانها ستتبنى الرؤية التي استخدمتها في غزة، أي ممارسة الضغوط على الرأي العام الاسرائيلي بواسطة العمليات في المستوطنات ـ خصوصا المستوطنات المعزولة في الضفة. من المعتقد أن حماس لن تفعل ذلك حاليا، وستفضل رؤية الحكومة الاسرائيلية الجديدة والسياسة التي ستتبعها ومن ثم ستبدأ في تحريك الجماهير.

حماس، خلافا لفتح، تملك القدرة على اخراج الناس الى الشارع. في البداية ستنظم مظاهرات حاشدة في القضايا الوطنية الاجتماعية مثل الجدار وغلاف القدس ـ التي ستُقابل في العالم بالاستحسان والتعاطف. وفي المرحلة الأبعد ـ كما يقدرون في اسرائيل ـ ستبني حكومة حماس قوة عسكرية على أساس الميليشيات الشعبية التي تقيمها في غزة (المرابطون)، امتزاج الأطراف العسكرية لحماس في الاجهزة الأمنية القائمة سيتمخض عن تشكيلات ألوية، على غرار ألوية جيش التحرير الفلسطيني التي شهدناها في السابق. هذا الجيش هو أحد رموز الدولة التي ستكون في هذه الحالة ـ دولة معادية.

هذه الصورة التي ترسمها الجهات الأمنية الاسرائيلية تقلق الاردن ومصر ايضا. في هذه النقطة تبلور قاسم مشترك للتحرك والحفاظ على جبهة منسجمة من اجل محاولة إجبار حماس على قبول الاملاء الدولي وتغيير ايديولوجيتها.

التوجه التشاؤمي الذي لا يقبل المساومة الذي يطرحه جهاز الدفاع ليس صدفة، ليست في ذلك محاولة لتخويف مواطني دولة اسرائيل، بل انها محاولة لرسم صورة بالابيض والاسود، والتي لا تسمح لحماس بالنفاذ الى المناطق الرمادية وبث الضباب حول نواياها. اذا تشبثت حماس بأيديولوجيتها الحالية وقادت الشعب الفلسطيني ـ فستواجه اسرائيل جبهة شرقية ارهابية رأسها في ايران وجسمها في العراق ولبنان وأرجلها في الضفة وغزة. لذلك، يتوجب حسب التصور الاسرائيلي إبقاء السلطة الفلسطينية ـ الحماسية في حالة ضعف وعدم اعتراف دولي وافتقار للدعم الاقتصادي والسياسي والعزلة التامة بين الضفة وغزة. هذا وضع لن يتيح بقاءها لمدة طويلة.

اليكس فيشمان
المراسل العسكري للصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/2/10